

أصحاب النحو التحويلي البنيوي لوجدته يؤيدك ويلتمس لك ما يؤيدك شيئاً من نحو «مدرسته الكوفية».

ولا ضيرَ في هذه الحماسة العارمة لو كان له ما يعضدها من علمه النحوي القديم، ولكنك تُفاجأ في أن صاحب هذه الحماسة لبيتعد كل البعد عن العلم وهو يعرض لما يدعى بـ «المدرسة البصرية»، فهو ينال منها بل يزرى بآراء البصريين ويسفه منها.

ويعرض لطائفة من أهل العلم كالمبرد وأبي حاتم السجستاني وابن جني فيسفه من آرائهم وينال منهم ويصفهم بالشعوذة والسفسطائية لأنهم قالوا كيت وكيت. وقد أنحى باللائمة الشديدة على أبي البركات الأنباري وربما اتهمه بالكذب والوضع لما قام به من تصنيف كتابه «الإنصاف في مسائل الخلاف». ولم يسأل المخزومي نفسه لماذا يلجأ الأنباري هذا فيصنع ويختلق كتاباً في مسائل «خلافية» في النحو؟ أكانت تلك المسائل كذباً أو أنها مساوية ألصقت بأصحابه الكوفيين؟ أو أنه يتملق أصحاب الأمر من الحاكمين، ورُبِّما نسي المخزومي أن جملة من النحويين الكوفيين المتقدمين كانوا مؤدبين لجماعة من أبناء الخلفاء وهم أقرب لذوي السلطان من غيرهم.

وماذا من أمر «مدرسة الكوفة»، تلك هي «جمي» خصَّ المخزومي بها نفسه يستثمر خيراتها ويختص بها، فليس لأحد أن يقرب منه، ولا يحل لامرئٍ أياً كان أن يحل له الصيد في «حرمها» الآمن. لقد كتب رسالته لنيل الدكتوراه في هذه المدرسة المزعومة فأثنى لآخر أن يكتب في هذا العلم الذي استأثر به لنفسه. ولا أدري كيف يتفق أن يتعصب لهذه «المسائل» النحوية ويعجب بالخليل بن أحمد أيما إعجاب في كتابه «الخليل بن أحمد» في رسالة الماجستير، وهو رأس المدرسة البصرية كما يقولون وقد قلت لك: إنه نال من نحو البصرة وسفه رجالها. وأقول أيضاً من حقه أن يعجب بالخليل لأنه أحد أفذاذ العلم من العرب بشهادة المتقدمين أنفسهم، ولكن إذا كان لنا أن نزهي بالخليل،